شعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانحه

مفهوم السعادة .. من منظور إسلامي

السعادة شعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانبه يتمثل في سكينة النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وراحة الضمير والبال نتيجة لاستقامة السلوك الظاهر والباطن - المدفوع بقوة الإيمان.

الشواهد على ذلك من الكتاب والسنة:

1/ قال الله تعالى: ((من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة))

2/ وقال تعالى: ((فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا))

3/ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس الغنى عن كثرة المال ولكن الغنى غنى النفس)

السعادة ليست في الماديات فقط:

إن السعادة في المنظور الإسلامي ليست قاصرة على الجانب المادي فقط، وإن كانت الأسباب المادية من عناصر السعادة. ذلك أن الجانب المادي وسيلة وليس غاية في ذاته لذا كان التركيز في تحصيل السعادة على الجانب المعنوي كأثر مترتب على السلوك القويم.

وقد تناولت النصوص الشرعية ما يفيد ذلك ومنها:

أ/ قال الله تعالى: ((والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون))

ب/ وقال الله تعالى: ((قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة))

ج/ وقال صلى الله عليه وسلم: (من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح)

الإسلام يحقق السعادة الأبدية للإنسان:

لقد جاء الإسلام بنظام شامل قوضع للإنسان من القواعد والنظم ما يرتب له حياته الدنيوية والأخروية وبذلك ضمن للإنسان ما يحقق له جميع مصالحه الدنيوية والأخروية، فقد جاء الإسلام للحفاظ على المصالح العليا والمتمثلة في الحفاظ على: النفس والعقل والمال والنسل والدين فالسعادة في المنظور الإسلامي تشمل مرحلتين:

1/ السعادة الدنيوية: فقد شرع الإسلام من الأحكام ووضح من الضوابط ما يكفل للإنسان سعادته الدنيوية في حياته الأولى، إلا انه يؤكد بان الحياة الدنيا ليست سوى سبيل إلى الآخرة، وان الحياة الحقيقية التي يجب ان يسعى لها الإنسان هي حياة الآخرة قال الله تعالى: ((من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)) وقال تعالى: ((وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا)) وقال تعالى: ((فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل))

2/ السعادة الأخروية: وهذه هي السعادة الدائمة الخالدة، وهي مرتبة على صلاح المرء في حياته الدنيا قال الله تعالى: ((الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)) وقال تعالى: ((للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين)) لقد حدد الإسلام وظيفة الإنسان في الأرض بأنه خليفة فيها يسعى لأعمارها وتحقيق خير البشرية ومصالحها التي ارتبطت بالأرض إلا أن هذا الاعمار وتحصيل المصالح تكتنفه كثير من الصعاب ويتطلب من الإنسان بذل الجهد وتحمل المشاق في سبيل ذلك كما أن الحياة ليست مذللة سهلة دائما كما يريدها الإنسان ويتمناها بل هي متقلبة من يسر إلى عسر ومن صحة إلى مرض ومن فقر إلى غنى أو عكس ذلك وهذه إبتلاءات دائمة يتمرس عليها الإنسان في معيشته فيحقق عن طريقها المعاني السامية التي أمر بها من الصبر وقوة الإرادة والعزم والتوكل والشجاعة والبذل وحسن الخلق وغير ذلك وهذه من أقوى أسباب الطمأنينة والسعادة والرضا قال الله تعالى: ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)) وقال صلى الله عليه وسلم: (عجبا لأمر المؤمن فإن أمره كله خير فإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)

■ ليست مقصورة على الجانب المادي فقط وإن كانت الأسباب المادية من عناصرها ولكنه مجرد وسيلة وليس غاية في ذاته

■ إدراكها في الآخرة أعظم وأشد أجراً وهي مرتبة على صلاح المرء في حياته الدنيا

مواقف من حياة الإمام مالك

قال القاضي عياض - رحمه الله - في ترتيب المدارك وتقريب المسالك (72/1): سئل مالك عن مسألة، فقال: لا أدري.

فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير.

وكان السائل ذا قدر، فغضب مالك، وقال: مسألة خفيفة سهلة، ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: (إنَّا سَنُلقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) [المزمل5] فالعلم كله ثقيل وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة ..

(3) وعن ابن وهب، قال: « لو شئت أن أملأ الواحي من قول مالك بن أنس لا أدري فعلت ». أبو نعيم في الحلية (353/6).

(4) قال عبد الرحمن بن مهدي: « رأيت رجلاً جاء إلى مالك بن أنس بساله، عن شيء أياما ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج، قال: فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه، وقال: ما شاء الله يا هذا، إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه ». أبو نعيم في الحلية (353/6)

(5) وقال عبد الرحمن بن مهدي: « سأل رجل مالكا عن مسألة، فقال: لا أحسنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسالك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم اني قد قلت لك إني لا أحسنها ». أبو نعيم في الحلية (353/6).

الرحمة المهداة والنعمة المسداة

أرسل الله تبارك وتعالى مجمداً رحمة للعالمين فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، رحمة بالإنسان والحيوان والجمادات، يصفه ربه فيقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، فالرحمة صفة لازمة له، فهي عنوانه، وهي سمته التي يعرف بها، فقلوب الناس تهواه وتغشاه وتحبه لأنه رحمة، بعث بالرحمة والعطف والحنان، بعث بالرفق واللين فما أرحمه من نبي، فهذه سيرته العطرة مليئة بالمشاهد الدالة على رحمته- صلى الله عليه وسلم- يسير يوماً من الأيام خارج مكة فإذا به يجد عجوزاً تحمل الحطب على رأسها قد أنهكها التعب، وشق عليها بعد الطريق، وآلمتها حرارة الشمس، فلما رأى حالها- صلى الله عليه وسلم- رحمها وهو أبو الرحماء، فقال: يا خالة آخذ معك الحطب إلى البيت ففرحت وسرت، فأعطته- صلى الله عليه وسلم- الحطب فحمله عنها حتى أوصله إلى بيتها، أليست هذه هي الرحمة، أهناك أحد وصلت به رحمته إلى هذا المستوى، أهناك رحمة تعدل هذه الرحمة، أيوجد إنسان يحمل رحمة كرحمة محمد-صلى الله عليه وسلم-؟ لا والله ليس هناك احد يرحم الناس كما يرحمهم محمد- صلى الله عليه وسلم-، ولا غرابة فهو أبو الرحماء وهو من أرسل رحمة للعالمين.

الراحمون جميعهم كانوا يداً ××× هي أنت بل أنت اليد البيضاء

إن رحمة النبي- صلى الله عليه وسلم- تعددت في عدة أمور ومع أصناف الناس فكما رأينا رحمته بالعجوز هاهي رحمته تبرز مع الشيوخ الكبار، فهذا أبو بكر -رضي الله عنه-يأتي بأبيه (أبو قحافة) إلى رسول الله ليبايعه وكان قد كبر سنه فقال - صلى الله عليه وسلم-: هلا تركته في بيته حتى نأتيه، يا الله ما أروعها من رحمة وما أرقه من قلب رحيم، لم يقل أنا رسول فهو أحق أن يأتي إليّ حاشاه أن يقول ذلك - صلى الله عليه وسلم- وهو من بعث بالرحمة والتواضع.

رحمته- صلى الله عليه وسلم-نالت الكبير والصغير والرجل والمرأة فلم تترك أحدا إلا نالته يأتي إليه الطفل الصغير فيقبله ويرق عليه ويرحمه فيقول أحد الحاضرين من الأعراب تقبل الأطفال يا رسول الله؟! والله إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً!! فيقول عليه الصلاة والسلام أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ثم أعلنها مدوية في سماء الجفاء والغلظة، أطلق منهجاً ربانياً (من لا يرحم لا يرحم)، ولم تقتصر رحمته مع الأطفال أن يقبلهم فحسب بل الأمر أبلغ من ذلك فهو يحملهم على ظهره ويترك أحدهم يلعب بخاتم النبوة على ظهره، وهو يمازحهم فيقول للصغير يا عمير ما فعل النغير، وهو من يحنكهم فهو رحمة على هؤلاء الصغار، لا يرونه إلا رأوا الرحمة في وجهه، فهو يعطيهم ويعطف عليهم ويرق قلبه لهم، فيكون في الصلاة ويسمع صوت طفل يبكي وهو يحب أن يطول في الصلاة فيستعجل فيها رحمة بالطفل الذي يبكي لعله أن يكون جائعا أو مريضا، ورحمة بقلب أمه الحنون عندما تسمع ولدها يبكي فتحن عليه، فيرق قلب النبي - صلى الله عليه وسلم- ويرحم حالهما جميعا فيستعجل في الصلاة.

الله أكبر والله لو بحث الناس في قلوب البشر جميعا منذو أن خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة ما وجدوا أرحم ولا أرق ولا أشفق من قلب محمد - صلى الله عليه وسلم-.

إن محمدا هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة، رأى الناس النور والخير والرحمة بعد أن أرسل، وزاح عنهم ظلام القسوة والغلظة والجفاء، وأشرقت عليهم الدنيا بعد أن جاءتهم رحمته- صلى الله عليه وسلم-، فقد كانوا في ظلمة الظلمة، وقسوة القساة، وغلظة الطغاة الجبارين.

يا وردةً يزهو بها البستانُ
ورحيقَ شهدٍ لذةُ الظمآنِ
يا نور مشكاةٍ بليل مظلم
كشف الجمال فأفاحتْ الأفنانُ
يا رحمةً للعالمين بعطفه
نصرَ الضعيف فأنصفَ الإنسانُ

لم تقتصر رحمته-صلى الله عليه وسلم- على البشر على الإنسان بل إنها وصلت حتى الحيوان والجمادات، فهذا جمل أحد الأنصار عذبه صاحبه وجعل يعاني من شدة الجوع فجاء هذا الجمل إلى نبي الرحمة، إلى الرحمة المهداة يشكو إليه قسوة صاحبه، جاء يذرف الدمع من عينيه فرق رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لحاله ورحمه، وقال أين صاحب هذا الجمل، فجاء الأنصاري فقال شكا إلي أنك تجيعه، اتق الله فيه، حتى الحيوانات تعرف أنه رحمة للعالمين جاء بالرحمة وبعث بها، وها هي الحمامة عندما أخذ أحد الصحابة أفراخها

جاءت تشتكي إلى القلب الرحيم، إلى القلب الحنون، إلى القلب الذي يعطف على الحيوانات والطيور فلما رآها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- رحمها ورق قلبه لها، لما رأى من حالها على أفراخها، فقال عليه الصلاة والسلام يقلب يملأه الرحمة، وتغمره الشفقة على هذه الحمامة من فجع هذه بولدها ردوا عليها ولدها، يا الله ما أرحمك يا رسول الله تحن على طائر صغير لا يساوي شيئا في هذا الكون لكنها الرحمة العالمية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

لم تكن رحمته-صلى الله عليه وسلم- مواقف وأحداث فحسب بل إنه أمر وشرع ومنهج وأخلاق شرعها للناس فقد قال عليه الصلاة والسلام مرغبا في الرحمة والرفق واللين على الناس: (اللهم من ولي من أمر أمتي فرفق بهم فارفق به)، وقال متوعدا من شق عليهم وأغلظ وجفاء (ومن ولي من أمر أمتي فشق عليهم فاشقق عليه)، وقال - صلى الله عليه وسلم- : (من لا يرحم لا يرحم)، وقال: (الراحمون يرحمهم الله)، فالرحمة خلق عظيم من أخلاقه-صلى الله عليه وسلم- وصفة رفيعة من صفاته، وأمر عظيم قطر عليها، فيا لله ما أرحمه بعباد الله فهو أرحم الناس، يحن قلبه على جذع سمعه يحن عليه فيرحمه وينزل إليه ويضمه إليه حتى يسكت.

فيا من تسب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وتسخر منه وتستهزئ به هذا هو نبينا، وهذه أخلاق محمد-صلى الله عليه وسلم-، وهذا هو منهج محمد- صلى الله عليه وسلم- فاخسأ عدو الله فلن تضره بكلامك ورسومك، فإن الله قد رفع مكانته وأعلى قدره وأعظم شأنه ورفع ذكره، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

سقطت مكانة شاتم، وجزاؤه
إن لم يتب مما جناه النار
لكأنني بخطاه تأكل بعضها
وهنا، وقد ثقلت بها الأوزار
ما نال منك منافق أو كافر
بل منه نالت ذلة وصغار

اللهم من استهزأ بنبيك بالرسوم أو بالنشر لها فشل يده، وقطع صلبه وجمد الدماء في عروقه ومزقه شر ممزق واجعله أبتر أقطع يا قوي يا متين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...

مساجد الإسلام .. في كل مكان

مسجد عمر بن الخطاب بالجوف

مسجد عمر بن الخطاب هو من أقدم وأهم المساجد الأثرية في شمال الجزيرة العربية ويعتبر من الآثار المهمة في منطقة الجوف وفي المملكة العربية السعودية بشكل عام. ويتبع أهمية المسجد من تخطيطه حيث يمثل استمرارية لنمط تخطيط المساجد الأولى. ويذكر بتخطيط مسجد الرسول في المدينة في مراحله الأولى وكذلك تبرز أهمية هذا المسجد إلى كونه من أقدم المساجد الأثرية التي لم يتبدل تخطيطها.

ينسب المسجد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ويقال بناه سنة 16 هـ أثناء توجهه إلى بيت المقدس [1].

يقع مسجد عمر بن الخطاب في وسط بلدة دومة الجندل القديمة ملاصقا لحي الذرع من الجهة الجنوبية، والتي تتبع منطقة الجوف شمال المملكة العربية السعودية.

تنبع أهمية مسجد عمر بن الخطاب في تخطيطه، إذ يمثل استمرارية لنمط تخطيط المساجد الأولى في الإسلام، ويذكر بتخطيط مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة في مراحله الأولى، فشكله مستطيل تقريبا ويمتد من الغرب إلى الشرق بطول 32.5 متر وعرض 18 متر، ويتكون المسجد من رواق القبلة والمحراب والمنبر وصحن المسجد والمصلى، ويشتهر المسجد بمئذنته الجميلة التي يبلغ ارتفاعها نحو 12.7 متر، والجزء الأسفل منها مربع الشكل، ثم تبدأ جدرانها العلوية بالميلان نحو الداخل، لتكون في النهاية شكلا هرميا متميزا، أما من الداخل فتقسم المئذنة إلى أربع طوابق مبنية على سقف الممر الذي يؤدي إلى الطريق الخارجي، وكان الدخول إلى المئذنة يتم من خلال الصعود إلى سقف المسجد ثم إلى الطابق الأول منها، وكانت الطوابق العليا للمئذنة تتصل ببعضها بواسطة سلم حجري، لكن بعض أجزاء السلم انهارت ما جعل الصعود إلى المئذنة مستحيلا الآن، والجزء الخلفي من المسجد هو عبارة عن خلوة وتطلق على مكان الصلاة في الشتاء حيث البرد الشديد[2].

تقع مئذنة المسجد الشهيرة في الركن الجنوبي الغربي وتنحرف عن مستوى جدار القبلة والمئذنة مبنية من الحجر قاعدتها مربعة طول ضلعها 3 متر وتضيق إلى الداخل كلما ارتفعت حتى بقعة شبه مخروطية، ويبلغ ارتفاعها 12.7 متر. والمئذنة لها نوافذ في كل طابق وقد اعيد ترميم المسجد حديثا.